الوعدة بين الاحتفال البريء والشعوذة المقصودة

أ. د. عبد العالي بشير *
جامعة تلمسان

abdelalibachir@yahoo. fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022 / 05 / 15	2022 / 06 / 16	2022 / 10 / 31

مُلخّص البحث

الوعدة لغة تطلق على ما يعود من الاجتماع على وجه معتاد، وفي بعدها الطقسي تعني التقاء القبائل والعشائر حول أضرحة الصالحين والمرابطين. وهي ذات بعد اجتماعي وترفيهي حيث يتم فيها إطعام الناس واللعب على الخيل والرقص. والهدف من إحيائها وإقامتها هو تحقيق الأماني والشفاء والنجاح. وعلى الرغم من التحولات والتغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري بفضل التطور وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن هذه الظاهرة الاجتماعية لا تزال منتشرة في الكثير من جهة الوطن بشكل دوري ومنتظم. انطلاقا من هذه الطروحات أسعى في هذا المقال إلى دراسة وتحليل ظاهرة الوعدة كعادة طقوسية احتفالية. مشيرا إلى موقف رجال الدين من انتشارها ومن الاحتفالات التي تقام حولها.

الكلمات المفتاحية: الوعدة، الأضرحة، الطعام، الأماني، الطقس.

Abstract

Promise in its linguistic meaning means what comes back from the meeting in the usual way, and in its ritual dimension, it means the meeting of tribes and clans around the shrines of the righteous and Almoravids. It has a social and entertainment dimension in which people are fed, played on horses and dancing. The goal of reviving and building it is to achieve aspirations, heal and succeed. In spite of the transformations and changes that the Algerian society has known thanks to the development and spread of social media, this phenomenon is still widespread in many parts of the country periodically and regularly. From these proposals, I seek in this article to study and analyze the

*عبد العالي بشير - abdelalibachir@yahoo. fr

phenomenon of promise as a ceremonial ritual habit ; Referring to the position of the clergy over its spread and the celebrations that are being held around it.

Key words: promise, shrines, food, wishlists, weath

مقدمة:

الوعدة هي طقس احتفالي وفي حضرتها تلتقي القبائل والعشائر حول أضرحة الصالحين والمرابطين. وهي ذات بعد اجتماعي وترفيهي حيث يتم فيها إطعام الناس واللعب على الخيل والرقص. والهدف من إحيائها وإقامتها هو تحقيق الأماني والشفاء والنجاح.

وعلى الرغم من التحولات والتغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري بفضل التطور وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن هذه الظاهرة الاجتماعية لا تزال منتشرة في الكثير من جهة الوطن بشكل دوري ومنتظم. وسوف أسعى في هذا المقال إلى دراسة وتحليل هذه الظاهرة مشيرا إلى موقف رجال الدين من انتشارها ومن الاحتفالات التي تقام حولها.

1. تعريف الوعدة:

الوعدة [1] لغة تعني الميعاد أي التقاء الناس في مكان ما. وهي في بعدها الاجتماعي إطعام الناس بالكسكس واللحم واللعب على الخيل والرقص على أنغام الموسيقى الشعبية. أوهي طقس دوري سنوي تقيمه العديد من العشائر والقبائل الجزائرية حول أضرحة الصالحين والمرابطين. فتنصب الخيام وتذبح الذبائح وتقيم المآدب وقد يرافق ذلك ألعاب الخيالة**Fantasia**. [2] وغالبا ما تقام الوعدة أثناء مواسم الحصاد والقطاف أو في ذكرى ولي أو سيد، ويعرفها إميل دوركايم **Dermenghem, Emile** بقوله: «هي طقس يقام على شرف الولي الصالح، لأجل إبعاد الشر وتحقيق الأماني والشفاء والنجاح« [3] كما تعرفها سوسي أنديزيان بقولها »هي عادة طقوسية احتفالية تقام حول قبور الأولياء تقدم فيها الأضاحي لتحقيق الأماني المرجوة« [4].

نستنتج من هذه التعاريف أن الوعدة لغة تعني التقاء القبائل والعشائر في مواسم الحصاد والقطاف سنويا، في مكان ما أو حول أضرحة الصالحين والمرابطين. وهي ذات بعد اجتماعي وترفيهي حيث يتم فيها إطعام الناس واللعب على الخيل والرقص. والهدف من إحيائها وإقامتها هو تحقيق الأماني والشفاء والنجاح.

2.1 طقوس الوعدة:

تسند مهمة تنظيم الوعدة إلى أعيان العروش والشيوخ أو إلى أولئك الذين تمتد أصولهم وجذورهم إلى أحد الأولياء الصالحين ومن الذين ينتسبون إليه، ليتفقوا على البرنامج النهائي والمتمثل أساسا في ترسيم تاريخ وموعد كل وعدة على ألا يتزامن الاحتفال بأكثر من وعدتين في وقت واحد. وتجمع المواسم بين الحفلات الدينية وبين المهرجانات التجارية في آن واحد، مما يجعلها فرصة للاجتماع والتجارة ومشاطرة هويتهما الثقافية.

وقد كانت القبائل الجزائرية منذ القدم تقيم هده الولائم وتستدعي القبائل المجاورة والقبائل القريبة منها في النسب وتحيي هده المواعيد خلال أيام معدودة. وغالبا ما تكون في أيام معينة كبداية موسم الحصاد أو نهايته أو الحرث وغير ذلك.

وعلى الرغم من التحولات والتغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري بفضل التطور وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن هذه الظاهرة لا تزال منتشرة في الكثير من جهة الوطن بشكل دوري ومنتظم، ويسعى منظمو الوعدة إلى إحياء هذه الطقوس ورسم معالم وأفاق استمراريته، والارتباط بعالم الأجداد والقبيلة، لأن القبيلة حسب رحمة بورقية هي «مؤسسة تحتاج إلى طقوس للمحافظة على تكرار نفسها» [5].

ويُهدف من استمرارية طقس الوعدة في العصر الحديث إلى إعادة تشكيل التفكك الاجتماعي وتوطيد لحمة القرابة من أجل حماية استمرارية القبيلة ككيان وفاعل اجتماعي وثقافي. ومن عوامل استمرارية الوعدة هو أن الطبقات الشعبية – التي شعرت بالاغتراب- قد وجدت فيها ملاذا روحيا ونفسيا وسياحيا، محققا للطمأنينة والفرجة والفرح.

وغالبا ما تقام حول الساحة المخصصة للوعدة سوق للتجارة ومكان للخيالة وأصحاب الصنعة والفرق الموسيقية (الطبالة والغيايطية) وهي أيضا مساحة ثقافية لإلقاء الشعراء لقصائدهم الشعبية والمبارزة بالسيوف بين الفرسان. وتمتاز أيضا بطابعها الاجتماعي، فمن خلالها تتوطد روابط الأخوة والتعاون بين أهل البلدة الواحدة والتكافل من خلال القيام بواجب الضيافة وإطعام ابن السبيل. وغالبا ما كانت تنسب الوعدة إلى ولي من أولياء الله الصالحين فيقال وعدة سيدي يحي وعدة سيدي محمد الكبير، ووعدة سيدي شعايب.

2.2 أبعاد الوعدة والغاية من إقامتها:

يقوم المشرفون على الوعدة بذبح الأضاحي ويهدون ثوابها لذاك الشيخ - ولي الله الصالح – ثم يقومون بتوزيع لحومها على الفقراء. والوعدة هي مكان تلتقي فيه جل القبائل للحديث عن الأمور التي تخصهم ولتفك بينهم نزاعاتهم وكذا لتمتين روابط نسبهم ومساعدة محتاجهم.

وإبان وجود المستعمر الفرنسي في الجزائر انتشر التعتيم والجهل في أوساط المجتمع الجزائري، مما جعل علماء الدين يحرمون الوعدة ويعتبرونها شركا أصغر، لأنها انحرفت عن مغزاها الأصلي، لاسيما بعد ما اعتقد الجهال في أولياء الله وبنوا عليهم الأضرحة واتخذوها مزارات للتبرك والتوسل إليهم بالدعاء والتضرع.

لقد أنقذت جمعية علماء المسلمين المجتمع الجزائري من قبضة مشايخ الطرق وشرورهم، ومن استفحال ظاهرة الوعدة وما يدور في فلكها من زيارة قبور المشايخ والتمسح بأضرحتهم. لأن التمسح بأضرحة المشايخ هو نوع من الشرك ولا يكون التمسح إلاّ للحجر الأسود بالكعبة فقط مع التوحيد الخالص لله. فمن رجا الخير من ميّت أو دفع الضرّ المتوقّع فلا أضلّ منه.

والملفت للانتباه أن ظاهرة الوعدة في الجزائر اختفت في عهد جمعية علماء المسلمين وفي فترة العشرية السوداء: يقول أحد الشغوفين بالوعدة: «كنا نقيم الزردات والوعدات كلّما اشتدّت بنا المحن فنظفر بالمنن وتفرج علينا حتى جاء البادسيون [6] وقطعوا علينا هذه الاحتفالات البهيجة أفليس من الخير أن نعود إلى الزردة والوعدة ونحيي ما اندثر، فإنّ ذلك عادات الآباء والأجداد زيادة على الرجاء في تبديل الأحوال، وانصراف الأهوال وإرضاء الرجال وعسى أن تنفرج عنّا المحن وتكثر المنن» [7].

يفهم من هذا القول إن منظمي الوعدات كانوا يقيمون الوعدات والزردات كلما اشتدت بهم المحن، ولكن في الحقيقة أن هذه الزردات والوعدات كانت من آثار غفلتنا منافية ليقظتنا وكان علماؤنا رحمهم الله يسمونها

(أعراس الشيطان)، لما يقع فيها من سفه وتبذير وعهر وخمر واختلاط وفجور، وقد ساء موقف جمعية علماء المسلمين من الوعدة الدوائر الاستعمارية فأرادت أن تحييها وتحافظ عليها.

أما في عهدنا فلم تعد الوعدة تقام لولي من أولياء الله الصالحين ولعبادته، بل أصبحت مظهرا من مظاهر العادات والتقاليد والعرف المعمول به عند الجزائريين، ومن هنا فلا يحق لأي كان أن يحرم هذه العادة بعد انتفائها من علة ما حرمت من أجله، ثم إن الصدقات موجودة ومقبولة حتى على الأموات وإن الادعاء بالشرك أمر يحال على صاحبه.

2. حكم حاضر الوعدة في الشرع بين الإباحة والتحريم:

وإذا كانت الوعدة في الجزائر تقام عند أضرحة الأولياء الصالحين المدفونين فيها. فما هو حكم من يحضر إلى الوعدة وما يرتبط بها من نحر الأضاحي حول هذه الأضرحة؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول مبدئيا أن علماء الدين في الجزائر قد حرموا الوعدة انطلاقا من الأسباب والحجج التالية:

- تصنف الوعدة في اعتقاد رجال الدين ضمن خانة الأعياد. ومن المتقرر في الشريعة أنه لا يشرع للمسلمين الاحتفال بأي عيد ما عدا عيدي الفطر والأضحى [8]. فالإبدال يدل على عدم شرعية الاحتفال بأي عيد غيرهما. وللرد على هؤلاء نقول لهم إن الوعدة لا تصنف ضمن الأعياد، لأن العيد اسم يطلق على ما يعود من الاجتماع على وجه معتاد إما بعود الشهر، أو بعود السنة، فالعيد مأخوذ من المعاودة والاعتياد، وهو ما احتوى على ثلاثة أمور: العود والتكرار، والاجتماع وما يتبع ذلك من عادات وعبادات.
- قضية اختلاط الرجال بالنساء، وانتشار الفساد. ولكن هذا لا يمنع الناس بمشاهدة طقوسيات الوعدة بما فيهم النساء بشرط أن يفصل بينهم وبين الرجال بعازل أو ما يشبه ذلك، أو أن يكون النساء في طرف والرجال في الطرف الآخر. وما يدعم رأينا قول عائشة رضي الله عنها: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد «.
- الغلو في تقديس الأولياء وطلب المدد منهم ودعائهم من دون الله، والعكوف على قبورهم، والطواف حولها، والتبرك والتمسح بها. في حين أن هؤلاء هم كالصنم فماذا يستفيد منهم الزائر؟
- إن الطعام واللحم المقدّم في الزردة لا يحلّ أكله شرعا لأنّه مما نصّ القرآن على حرمة أكله. قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ«. [9] فاللحم من القسم الرابع أي مما أهل لغير الله، أي أنه لم يذبح لله بل للمشايخ. فلحم الزردة حرام، وطعامها حرام والحضور في الزردة حرام[10]. ويرى المنتصرون لظاهرة الوعدة والمدافعون على استمرارها، أن الذبائح التي تنحر فيها قد ذكر عليها اسم الله.

3. خلفية الوعدة وماهيتها بين البراءة والسذاجة والشرك والشعوذة:

ولكن هل الوعدة في الجزائر هي احتفال بريء أم شعوذة مقصودة؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول يجب تصنيف المشاركين في الوعدة إلى فئتين:

فئة الأبرياء السذج وينضوي تحت هذه الفئة الأفراد المشاركون في طقوس الاحتفال بالوعدة، وأغلبية هؤلاء ينتمون اجتماعيا إلى طبقة الفقراء، وثقافتهم الدينية محدودة، بمعنى أن مشاركتهم في الوعدة ليس لها أي خلفية

دينية، بل هي مجرد مشاركة بريئة، الغرض منها إحياء العادات والتقاليد والاحتفال والترويح عن النفس وملء البطون الفارغة بالكسكس واللحم الموزع في مثل هذه المناسبات.

فئة الشيوخ وأعيان العروش وهم الذين تسند إليهم مهمة تنظيم الوعدة، وهؤلاء يعتقدون أن أصولهم وجذورهم تمتد إلى أحد الأولياء الصالحين أو من الذين ينتسبون إليه. فهؤلاء قد تكون لهم خلفية دينية، لأنهم يهدفون من وراء إقامة مثل هذه الوعدات إلى تشويه الدين ونشر الخرافات والجهل بين أفراد المجتمع الجزائري، وإحياء الطرقيات.

الخاتمة:

الخاتمة ستكون عرضا لأهم النتائج المتوصّل إليها في هذا المقال، والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

مهما يكن فإن للوعدة إيجابيات كثيرة منها توطيد علاقة القرابة بين أفراد القبيلة، وضمان استمراريتها ككيان اجتماعي وثقافي.

وهي أيضا ملاذ روحي ونفسي وسياحي للطبقات الشعبية.

كما تعد الوعدة أيضا مصدرا للتجارة، حيث تقام فيها الأسواق لبيع الحلويات والأدوات التي يحتاج إليها فرسان الخيالة.

وهي فضاء اجتماعي لفك النزعات بين أفراد القبيلة وتمتين روابط النسب، وفرصة لمساعدة المحتاجين وتوزيع لحوم الأضاحي على الفقراء.

صحيح أن الوعدة في عهد الاستعمار قد انحرفت عن مغزاها الاجتماعي والثقافي، مما جعل بعض علماء الدين يحرمونها ويعتبرونها شركا أصغر. ولكن في عهدنا لم تعد الوعدة تقام لولي من أولياء الله الصالحين ولعبادته، بل أصبحت مظهرا من مظاهر العادات والتقاليد والعرف المعمول به عند الجزائريين.

إحالات البحث

[1]. مظاهرة الفروسية للفرسان العرب.

[2]. Dermenghem, Emile, le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin, Paris, Gallimard, 1954, pp. 152-153 .

[3]. Andezian, Sossie, Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine, Adeptes des Saints dans la région de Tlemcen, Paris, CNRS Editions, 2001, p. 122.

[4]. رائد السلفية بالمغرب: المولى سليمان دعوة الحق العددان 127 و128، تاريخ الولوج 9 أكتوبر 2013

[5]. قال له عمر: "والله ما أنت إلا حجر لا تنفع ولا تضر ولو لا أنّي رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك" (متفق عليه).

[6]. نسبة إلى عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر.

[7]. **عبد الله الغفلان زمورة (ولاية غليزان).**

[8]. روى أبو داود والنسائي وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: ما هذان اليومان؟ " قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر.

[9]. سورة المائدة الآية 03.

[10]. أحمد حماني، لماذا نحي عهد "الزردة" و"الوعدة"؟ من جريدة الشعب اليومية: الاثنين 1991/11/18، رياض الإسلام ص 09.

مراجع البحث

القرآن الكريم. برواية ورش.

1. بوشمة الهادي، الوعدة التمثل والممارسة، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار، باحث دائم بالمركز الوطني للبحث في الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية.
2. ورقية، رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع "دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب"، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1991، ص169.
3. رائد السلفية بالمغرب: المولى سليمان، مجلة دعوة الحق، العددان 127 و128، تاريخ الولوج 9 أكتوبر 2013.**www. Habous. gov. ma**
4. محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر، ج 3، ص. 407.

5. Andezian, Sossie, Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine, Adeptes des Saints dans la région de Tlemcen, Paris, CNRS Editions, 2001.

6. Dermenghem, Emile, le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin, Paris, Gallimard, 1954.